اثبات وجود اللّه سبحانه وتعالى
عند المفسرين الفلاسفة
السيد الطباطبائي أنموذجاً

الأستاذ الدكتور حسن كاظم اسد

إعداد الطالب: أسامة حمزة حمود

الملـخّـص

ان المخلوق المتناهي لا يمكن له ادراك من هو اعلى منه و هو الغير متناهي، يسعى بدوره الى البحث عنه بكل ما يمتلكه من إمكانيات و وسائل للإثبات وجوده، وقد اودع الله سبحانه وتعالى في الانسان ما هو يهديه و يرشده اليه، فوضع سبحانه وتعالى في نفس البشر فطرته التي توحي لهم بان خالقهم موجود، وأنَّهم موجودون بفعل خالق عظيم اخرجهم من العدم الى الحياة، وهذا الدليل الفطري يلح في نفس كل إنسان حتى يجعله يؤمن بوجود الله تعالى ولو قبل الموت بقليل، قال الله تعالى : ﴿وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَني آدَمَ مِن ظُهورِهِم ذُرِّيَّتَهُم وَأَشهَدَهُم عَلى أَنفُسِهِم أَلَستُ بِرَبِّكُم قالوا بَلى شَهِدنا أَن تَقولوا يَومَ القِيامَةِ إِنّا كُنّا عَن هـذا غافِلينَ﴾ (الأعراف : ١٧٢)، و هذا من أوضح الأدلة التي تهدي الانسان الى الاعتراف بوجود الخالق .

و بالإضافة الى الفطرة التي منحها الله تعالى للإنسان منحه العقل ايضاً الذي جعله آلة للتفكير فبه يحصل الايمان ايضاً، فكل انسان عاقل يتدبر هذا الكون، يرى لا بد من ان يكون خالقاً خلقه فهذا الكون و ما فيه من مخلوقات و نظام عظيم لا يشوبه خطأ لا بد ان يكون بفعل فاعل حكيم عليم ذي قدرة عظيمة فعال لما يريد، فأنَّ هـذا الخلق بكل ما فيه شاهد على وجود خالقه العلي القدير سبحانه.

الكلمات المفتاحية: وجود، الله سبحانه وتعالى، الفلاسفة، الطباطبائي، الكون.

Summary

In addition to the natural instinct that God Almighty bestowed on man, he also granted him the mind, which made him a machine for thinking, so faith also occurs. That it be the action of a wise, knowledgeable doer with great ability, effective in what he wants, because this creation, with all that it contains, is a witness to the existence of its Creator, the Most High, the Almighty, Glory be to Him.

The aim of this research is to prove the existence of God Almighty through the use of rational law and linking it to the Quranic verses that confirm this law.

The purpose of this is to solve the problem of the existence of God Almighty through rational proof and the Qur'anic verses as they refer to one concept and meaning, which is that God Almighty exists by himself and does not need anyone else.

And this research consists of two demands after an introduction, the first: in which the existence of God Almighty is proven through the law of attic and that God Almighty and the duty of existence is neither possible nor impossible, and there is a nullification of the role and sequence, and the second requirement: is to be guided by Quranic verses on that.

Keywords: existence, god almighty, philosophers, tabatabai, universe.

توطئة

منذ ان خلق الله سبحانه وتعالى الانسان وبث فيه من روحه وميزه عن غيره بالتفضل عليه بنعمة العقل وجعله آلة للتفكير و به يتم كشف الحقائق، لذا الانسان بتفكيره يصل الى حقيقة واضحة وهي ان أي شيء لا يمكن ان يظهر الى الوجود إلا وبوجود واجد اوجده، و لا يمكن لأي شيء ساكن ان يتحرك إلا بوجود محرك يُحرك ذلك الشيء الساكن، فان هذه الكون العظيم وما فيه من مخلوقات لا يمكن ان يكون نتاج الصدفة، فهذا الكون وما فيه يسير وفق قوانين منضمة لا يمكن لأي احد ان يضعها إلا ذو قدرة عظيمة فلابد ان تكون هناك علة تفعل ذلك، كما قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع)، حينما سُئل عن الصانع، فقال (ع) : (البعرة تدل على البعير، والروثة تدل على الحمير، وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة كيف لا يدلان على اللطيف الخبير)[1] ، وفي حديث آخر، قال (ع) : (بصنع الله يستدل عليه و بالعقول يعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجته) [2] .

الصانع الذي يُبدع في صنعه المحكم المتزن لا يمكن ان يكون غير الله سبحانه وتعالى فهو القادر العظيم الذي يفعل ما يُريد و لا يصعب عليه شيء، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(آل عمران : ١٨٩)، فهو سبحانه وتعالى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (البقرة : ١١٧)، فالعقل هو من الطرق المؤدية لمعرفة الله سبحانه وتعالى، و يتم من خلاله التدبر في آيات الله تعالى الدالة علية، من خلال البراهين العقلية و الاكتشافات العلمية و غيرها، الدالة على و جود تعالى.

وفضلاً عن ان العقل الذي بواسطته يتم ادراك و اثبات الخالق، فان هناك طريق آخر يقودنا الى الايمان بوجود خالق لهذا الكون وهو الفطرة، و الإنسان مفطور على الإقرار بالخالق و العبودية له، وهذا ما أكده القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللهَّ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهَّ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(الروم : ٣٠)، وفي آية ثانية قال تعالى: ﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾(الأعراف : ١٧٢ ـ١٧٣)، قال السيد الطباطبائي في تفسير الآية الأولى :

(فالإنسان كسائر الأنواع المخلوقة مفطور بفطرة تهديه إلى تتميم نواقصه ورفع حوائجه وتهتف له بما ينفعه وما يضره في حياته، فللإنسان فطرة خاصة تهديه إلى سنة خاصة في الحياة وسبل معينة ذات غاية مشخصة ليس له الا أن يسلكها خاصة وهو قوله : ﴿فِطْرَتَ اللهَّ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾، وليس الانسان العائش في هذه النشأة الا نوعاً واحداً لا يختلف ما ينفعه وما يضره بالنظر إلى هذه البنية المؤلفة من روح وبدن فما للإنسان من جهة أنه انسان إلا سعادة واحدة وشقاء واحد فمن الضروري حينئذ أن يكون تجاه عمله سنة واحدة ثابتة يهديه إليها هاد واحد ثابت، و ليكن ذلك الهادي هو الفطرة و نوع الخلقة و لذلك عقَّب قوله : ﴿فِطْرَتَ اللهَّ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾، بقوله : ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهَّ﴾)[٣] .

وفطرة القلب تعني ان الإنسان بحسب بنيته الروحية الخاصة، يطلب الله المبدع فطلب الله و البحث عنه غريزة مغروسة في الإنسان، كما هو الحال في غريزة الأمومة المغروسة في طبيعة الطفل، حيث تتوفر هذه الغريزة في الطفل بشكل لا

شعوري داخلة، فيتمكن من البحث على امه من بين النساء و التعرف عليها دون أن تظهر انعكاساتها على مستوى إحساسه الظاهري، و إن غريزة طلب الله و البحث عنه لون من الجاذبة المعنوية القائمة بين القلب و إحساسات الإنسان من جهة وبين الواجد أي المبدأ الأعلى و الكمال المطلق من جهة أخرى [٤] .

فكل إنسان يولد على الفطرة وهذا ما يؤكده قول النبي محمد (ص)، قال : (كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) [٥] .

إلا ان بعض العوامل تعمل على تغيير او انحراف هذه الفطرة، فترى انحراف هذه الفطرة عند الكثير من الناس وهذا يرجع لعوامل عديدة تساعد على اضعاف هذه الفطرة منها :

اولاً : الشياطين : وهي المؤثر الخارجي و الأصلي لهذا الامر، قال تعالى : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ﴾(البقرة : ١٠٢).

ثانياً : الأبوان : هما من يُحرفا الفطرة لدى الانسان فعندما يولد يتبعهما ابنهما على نفس النهج، وهذا المؤثر أقوى المؤثرات و أخطرها ؛ لشدة التصاق الأولاد بآبائهم وقوة تأثيرهم عليهم، و الحديث المذكور سابقاً دليل عليه .

ثالثاً : الغفلة : وهي المؤثر الثالث في انحراف هذه الفطرة، كما دل على ذلك قوله تعالى : ﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ

مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ ﴾(الأعراف : ١٧٢).

رابعاً : اتباع الظن و هوى النفس، و أشار القرآن الكريم الى هذه النقطة في قوله تعالى : ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾(النجم : ٢٣) [٦].

ويمكن إضافة نقطتين هما :

اولاً : الجهل و التأثر بالمعتقدات الزائفة.

ثانياً : انحراف الديانات السماوية عن المنهج الرئيسي الذي كانت تدعوا إليه، سبب اخر لانحراف الفطرة عن مسارها الصحيح المفترض ان تسير عليه.

إذاً الطرق البشرية التي تؤدي الى الله سبحانه وتعالى، هما العقل وما يستعمله من الوسائط مثل العلم و التفكر و القوانين الاستدلالية وغير ذلك من الأمور العقلية، و الفطرة، فهما طريقان الأول عقلي و الثاني قلبي .

المطلب الأول

اثبات وجود الله تعالى من خلال قانون العلية

ان لكل معلول في هذا الكون لابد من علة اخرجته للوجود، وهذا من الأشياء البديهية التي يراها أي شخص و يعتقد بها، أي ان لا يمكن لأي شيء ان يخلق من العدم إلا وهناك خالق اظهره و اوجده للوجود و (من هنا تتبلور أرضية قانون العلة و المعلول العام، فيقر الانسان بشكل قاطع ان الفعل لا يقع اطلاقاً بدون فاعل، وان كل معلول يتطلب علة ثم بحكم ملاحظة الحوادث و الظواهر المختلفة يتأيد هذا القانون باستمرار، ويصمد امام الاختبار، وعلى هذا الأساس ينعطف الانسان حين سماع أي صوت و الإحساس بأي حدث صغير أو كبير على البحث عن علته، و إذا لم يستطع تحديد العلة لحدثٍ ما فسوف يفترض له علة مجهولة) [٧].

و العلة في اللغة : لها معانٍ عديدة منها :

اولاً : ما يتوقَّف عليه وجُود الشّيء.

ثانياً : ما يُتلهى به .

ثالثاً : المرض، فالمرض يسمى علة [٨] .

اما في الاصطلاح: فتُعرّف بانها : ماله (التأثير في الوجود على وجه اذا وجدت العلة وجد المعلول ويستحيل التخلف عنه، و ان انعدمت انعدم المعلول)[٩] .

اذاً كل ما يؤثر في الشيء و يحركه ويقع أي تأثير منه على امر ما فهو علة، ويبدو ان المراد من التعريف السابق، هو مفهوم العلة بشكل عام، و علة الوجود هو الخالق

تعالى موجد الوجود و مؤثر فيه .

المعلول : هو (كل موجود تتساوى نسبته الى الوجود و العدم، فأن وجوده هذا يساوي الوجوب، ينشأ من موجودٍ آخر ـ علة ـ ويمكن التعبير عن هذه النتيجة بالعبارة التالية ،لابد للممكن علة في وجوده)[١٠]. و الممكن هو ما يتوقف وجوده على غيره أي على العلة التي تظهره الى الوجود، و لا يمكن ان يوجد إلا من خلالها فهو معلول لها .

وعلة هذا الوجود هو الله سبحانه وتعالى، حيث كما اتضح في بادئ الأمر ان الإنسان عن طريق العقل اولاً و عن طريق الفطرة ثانياً، يدرك ان هناك خالقاً واحداً يرجع اليه كل هذا الكون، ومن فضل هذا الخالق جل وعلا و عدله يبعث رسله ومعهم الكتب السماوية، لمساندة العقل و الفطرة حتى يتوجهان الوجهة الصحيحة في التعرف عليه، والقرآن الكريم كتاب الله الذي انزله على نبيه محمد (ص)، حافل بالآيات التي تدعوا الى التدبر فيه، فقال تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد : ٢٤)، وقوله : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا القَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون :٦٨)، وفي آية أخرى قال تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ (ص :٢٩)، و المتدبر لهذا القرآن يجده مُبين للعلة الواجدة وهو الله سبحانه و تعالى فكل شيء يرجع اليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِّ إِلٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(القصص : ٨٨)، وقوله تعالى : ﴿ اللهُّ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الزمر : ٦٢) وفي قول آخر : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾(ق :٦) و قال : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾(يس : ٣٦)، وفي آية أخرى قال تعالى :

﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾(الفرقان : ٢)، و الكثير من هذه الآيات التي تبين رجوع كل شيء الى علة الوجود وهو الله جل جلاله، ولا يستطيع أي احد انكار هذا، اما الذين ينكرون الصانع، (فما أغفل هؤلاء الذين ـ يظنون ان الأشياء المخلوقة ـ مقطوعة النسبة عن إله العالم عز اسمه مستندين إلى أنها مخلوقة لإرادة الانسان واختياره، فطائفة منهم وهم أصحاب المادة من المنكرين لوجود الصانع، زعموا أن حجة المليّين في إثبات الصانع : أنهم وجدوا في الطبيعة حوادث وموجودات جهلوا عللها المادية ولزمهم من جهة القول بعموم قانون العلية و المعلولية في الأشياء والحوادث أن يحكموا بوجود عللها – وهي مجهولة لهم بعد فأنتج ذلك القول بأن لهذه الحوادث المجهولة العلة علة مجهولة الكنه هي وراء عالم الطبيعة، وهو الله سبحانه، فالقول بأن الصانع موجود فرضية أوجب افتراضها، ـ فما ـ وجده الانسان ـ الأول ـ من الحوادث المادية المجهولة العلل كالحوادث الجوية وكثير من الحوادث الأرضية المجهولة العلل، وما وجده من الحوادث والخواص الروحية التي لم يكشف العلم عن عللها المادية حتى اليوم) [١١] لابد ان تكون هناك علة ورائها اوجدتها، و إلا لا يمكن ان توجد من تلقائها ؛ لان هذا الامر مرفوض بحكم العقل.

الله واجب الوجود لا ممكن و لا ممتنع:

كما ذُكر مسبقاً ان الله سبحانه وتعالى هو علة الوجود التي افاضت عليه الحياة و اوجدته، و العديد من الآيات القرآنية تشهد بهذا، إلا ان هناك سؤال يدور في ذهن كل شخص يبحث عن المعرفة ويتطلع لمعرفة الله سبحانه وتعالى، هو عن وجود الله سبحانه وتعالى هل وجوده كباقي الموجودات، أي انه ممكن، ام انه واجب الوجود ؟

وقبل اثبات هذا الامر يجب توضيح مفهوم كل من الواجب و الممكن و الممتنع :

١ـ الواجب : هو ما كان الوجود ضرورياً له بحيث لا يمكن ان ينفك عنه أي ان اتصافه بالوجود و اجب ويسمى واجب الوجود، وهذا هو الله سبحانه وتعالى، لا علة له بل هو العلة .

٢ـ الممكن : هو ما يكون الوجود لا ضروري الثبوت و لا ضروري العدم، أي يتساوى في كل منهما وهذا يطلق عليه ممكن، أي لابد من علة تخرجه الى الوجود ولولا هذه العلة لما كان وهذا يطلق على جميع الموجودات سوى الباري عز وحل .

٣ـ الممتنع : هو ما يكون ثبوت الوجود فيه ممتنع لذاته أي انه محال وضروري العدم، يسمى ممتنع، كاجتماع النقيضين[١٢]، مثل اجتماع الحرارة و البرودة في آن واحد ومكان واحد .

و الله سبحانه وتعالى واجب الوجود، و واجب الوجود بذاته [١٣] ؛ لان القول بخلاف ذلك يستلزم من القول بـالدور و التسلسل :

اولاً : الدور، (هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه، ويسمى الدور المصرح كما يتوقف (أ على ب)، و(ب على أ) [١٤] .

ثانياً : التسلسل، (هو ترتيب أمور غير متناهية)[١٥]، أي ان هناك مجموعة من الموجودات تتوقف في وجودها كل منها على الآخر فمثلاً : (أ) يتوقف وجوده على (ب) و (ب) على (ت) و (ت) على (ث) الى ما لا نهاية.

وكلاهما باطلان وذلك لان :

الدور : (يستلزم تقدم الشيء على نفسه بالوجود)[١٦]، ولان الدور (عبارة

عن توقّف كلّ شيء من الشّيئين على الآخر فيما توقّف عليه فيه، فإذا كان كلّ واحد من الشّيئين موجدا للآخر، فاذا فرض أحدهما مؤثرا في الآخر : كان الذي هو أثر موقوفاً على مؤثره، ضرورة توقف الأثر على المؤثر، فلو فرض أنّ الآخر مؤثر فيه : كان موقوفاً عليه أيضا، فيكون موقوفا على علّته وعلى ما تتوقف عليه علّته وهو نفسه، فيلزم أن يكون كل واحد منهما متوقفا على نفسه، وتوقف الشيء على نفسه محال ؛ لأنّ المتوقف متأخر والمتوقف عليه متقدم، فيلزم أن يكون كل واحد منهما متقدما على نفسه متأخرا عنها، والمتقدم من حيث هو متقدم موجود، والمتأخر من حيث هو مؤخر معدوم، فيلزم أن يكون الشيء الواحد في زمان واحد موجودا، معدوما، وهو باطل بالضرورة) [١٧] .

لانه يؤدي الى القول باجتماع النقيضين وهو ممتنع، و القول بالدور ان هناك اثنين اما يكون كل واحد منهما خلق الآخر، هذا يؤدي الى التناقض ؛ وذلك لان اذا توقف (أ) على (ب) يعني (ب) علة و العلة يجب ان تكون موجودة قبل المعلول و انها لا تكون موجودة من العدم، ويجب توفر شروط الإنتاج فيها واذا توفرت الشروط، فكان من ضمن هذه الشروط وجود (أ) المعلول ؛ لانه يتوقف عليه في الوجود فهذا تناقض، فكيف هو علة يتوقف على غيره، و اذا كان (ب) علة (أ)، فمن اين (ب) هل هو من اوجد نفسه ؟ فهذا محال لان العدم لا يمكن له الخروج إلا بواجد له يوجده و يُخرجه من عدمه.

اما بالنسبة لبطلان التسلسل : ان التسلسل هو (هو أن يكون شيء معلولا لشيء آخر وهو معلولا لثالث وهو لرابع... الخ)[١٨]، (وبطلان التّسلسل لأنّه يلزم منه وجود امور غير متناهية مترتّبة من العلل والمعلولات في الوجود، وهو محال، وأيضا: فإنّا إذا فرضنا سلسلة غير متناهية من المحدثات، وكلّ محدث ممكن،

فمجموعها ممكن، والممكن لا وجود له من نفسه، فيحتاج إلى مؤثر، فالمؤثر فيه : إمّا نفسه، أو جزؤه، أو الخارج منه لا جائز أن يكون المؤثّر فيه نفسه، لاستحالة تأثير الشّيء في نفسه لأنّ المؤثر متقدم على أثره، والشيء لا يتقدم على نفسه ،ولا جائز أن يكون المؤثرفيه جزؤه، وإلّا لزم أن يكون ذلك الجزء مؤثّرا في الجميع لأن المؤثر في الجملة مؤثر في كل واحد من أجزائها، ومن جملة الأجزاء نفسه وعلله، فيلزم أن يكون مؤثرا في نفسه وفي علله، وهو محال فبقي أن يكون المؤثر فيها خارجا عنها، وهو الواجب، فثبت بطلان التّسلسل، وإذا بطل الدور والتسلسل، ثبت أن صانع العالم قديم وهو المطلوب)[١٩].

وقال : العلامة الطباطبائي (أن وجود المعلول رابط بالنسبة إلى علته لا يقوم إلا بعلته، والعلة هو المستقل الذي يقومه كما تقدم، وإذا كانت علته معلولة لثالث وهكذا، كانت غير مستقلة بالنسبة إلى ما فوقها، فلو ذهبت السلسلة إلى غير النهاية ولم تنته إلى علة غير معلولة تكون مستقلة غير رابطة، لم يتحقق شيء من أجزاء السلسلة ؛ لاستحالة وجود الرابط إلا مع مستقل) [٢٠].

وبعد اثبات بطلان كل من الدور و التسلسل فلا يبقى سوى القول بأن الله سبحانه واجب الوجود وهو علة كل شيء غير محتاج الى غيره (فحيث ان الوجود حقيقة أصلية، ولا غير له في الخارج لبطلانه فهو صرف ؛ فكل ما فرضناه ثانياً له فهو هو، اذ لو كان غيره او امتاز بغيره كان باطلاً ؛ فالثاني ممتنع الفرض ؛ فهو واحد بالوحدة الحقة على ما تقدم، ومن هنا يظهر انه مشتمل على كل كمال حقيقي في ذاته بنحو العينية، وحيث ان الوجود بذاته يناقض العدم ويطارده فهو بذاته غير قابل لطرد العدم وحمله عليه فهو حقيقة واجبة الوجود بذاتها، فحقيقة الوجود حقيقة واجبة الوجود بالذات، ومن جميع الجهات مستجمعة لجميع صفات الكمال، منزهة

عن جميع صفات النقص و العدميات) [٢١].

و بالإضافة الى ما تقدم ان السيد الطباطبائي اعطى صفات او يمكن ان يُصطلح عليها شروط لوا جب الوجود منها :

اولاً : (ان واجب الوجود بالذات ماهيته إنّيّته، بمعنى أن لا ماهية له وراء وجوده الخاص به... من ان الإمكان لازم الماهية، فكل ماهية فهي ممكنة، وينعكس إلى أن ما ليس بممكن فلا ماهية له، فلا ماهية للواجب بالذات) [٢٢].

ثانياً : ان (واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات، أنه لو كان للواجب بالذات المنزه عن الماهية بالنسبة إلى صفة كمالية من الكمالات الوجودية جهة إمكانية، كانت ذاته في ذاته فاقدة لها، مستقراً فيها عدمها، فكانت مركبة من وجود وعدم، ولازمه تركب الذات، ولازم التركب الحاجة، ولازم الحاجة الإمكان، والمفروض وجوبه، وهذا خلاف) [٢٣].

ثالثاً : ان الله سبحانه وتعالى واجب غير ممكن ؛ لأن الممكن لا يمكن ان يكون علة لانه محتاج الى غيره فهو متلبس بالوجود و العدم، محتاج الى علة واجدة وراء ماهيته.

رابعاً : ان العلة يجب ان تكون واجبة الوجود و الممكن لا يمكن ان يكون علة؛ لأنه محتاج الى علة حتى يستمر في بقائه، فكما اوجدته و اخرجته من العدم، فبقائه لا يكون لا معها[٢٤].

المطلب الثاني

السند القرآني في اثبات وجود الله تعالى

ان القرآن الكريم في العديد من الآيات الواضحة و الجلية خاطب الناس فيها بخصوص الموضوع المتقدم بشكل مبسط يتناسب مع مستواهم العقلي و المعرفي في ذلك الوقت، فقد وردت الآيات بالقول بوحدانية الله عز وجل، كما قال تعالى : ﴿ الله لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾(البقرة : ٢٥٥) وفي آية ثانية قال : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾(الكهف : ١١٠)، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ الله الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾(طه :٩٨)، وفي آية أخرى قال تعالى : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة : ١٦٣)، قال الطباطبائي في تفسير الآية المتاخرة (وأما الوحدة فمفهومها من المفاهيم البديهية التي لا نحتاج في تصورها إلى معرف يدلنا عليها، والشيء ربما يتصف بالوحدة من حيث وصف من أوصافه، كرجل واحد، وعالم واحد، وشاعر واحد، فيدل به على أن الصفة التي فيه لا تقبل الشركة ولا تعرضها الكثرة، فان الرجولية التي في زيد مثلا وهو رجل واحد ليست منقسمة بينه وبين غيره، بخلاف ما في زيد وعمرو مثلا – وهما رجلان – فإنه منقسم بين اثنين كثير بهما، فزيد من جهة هذه الصفة – وهي الرجولية – واحد لا يقبل الكثرة، وإن كان من جهة هذه الصفة وغيرها من الصفات كعلمه، وقدرته، وحياته، ونحوها ليس بواحد بل كثير حقيقة، والله سبحانه واحد، من جهة أن، الصفة التي لا يشاركه فيها غيره، كالألوهية فهو واحد في الألوهية، لا يشاركه فيها غيره تعالى، والعلم و القدرة والحياة، فله علم لا كالعلوم، وقدرة وحياة لا كقدرة غيره وحياته، وواحد من جهة أن الصفات التي له لا تتكثر ولا تتعدد إلا مفهوما فقط، فعلمه وقدرته وحياته جميعها شيء واحد هو ذاته)[٢٥]، فالدور باطل وفق الآيات المتقدمة،

ولا يمكن ان يكون إله اخر في هذا العالم سوى واجب الوجود سبحانه.

وأشار القرآن الكريم في آياته إلى ان هذا الكون وما فيه من نظام متكامل متوازن لو كان فيه آلهة متعددة لفسد وحل فيه الدمار و الخراب ؛ لان التعدد من صفاته الاختلاف فيذهب كل إله الى ما يريد، لكن ما نراه هو من صنع إله واحد لا غير، كما قال تعالى في محكم كتابه : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(الأنبياء : ٢٢)، قال الطبرسي في تفسير الآية : (﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ومعناه : لو كان في السماء والأرض آلهة سوى الله لفسدتا وما استقامتا وفسد من فيهما ولم ينتظم أمرهم وهذا هو دليل التمانع الذي بنى عليه المتكلمون مسألة التوحيد وتقرير ذلك أنه لوكان مع الله سبحانه إله آخر لكانا قديمين والقدم من أخص الصفات فالاشتراك فيه يوجب التماثل فيجب أن يكونا قادرين عالمين حيين ومن حق كل قادرين أن يصح كون أحدهما مريدا لضد ما يريده الآخر من إماتة وإحياء أو تحريك وتسكين أو إفقار وإغناء و نحو ذلك فإذا فرضنا ذلك فلا يخلو إما أن يحصل مرادهما وذلك محال وإما أن لا يحصل مرادهما فينتقض كونهما قادرين وإما أن يقع مراد أحدهما ولا يقع مراد الآخر فينتقض كون من لم يقع مراده من غير وجه منع معقول قادرا فإذا لا يجوز أن يكون الإله إلا واحدا ولو قيل إنهما لا يتمانعان لأن ما يريده أحدهما يكون حكمة فيريده الآخر بعينه والجواب أن كلامنا في صحة التمانع لا في وقوع التمانع وصحة التمانع يكفي في الدلالة لأنه يدل على أنه لا بد من أن يكون أحدهما متناهي المقدور فلا يجوز أن يكون إلهاً) [٢٦] .

وقال الطباطبائي : (أنه لو فرض للعالم آلهة فوق الواحد لكانوا مختلفين ذاتا متباينين حقيقة وتباين حقائقهم يقضي بتباين تدبيرهم فيتفاسد التدبيرات وتفسد السماء والأرض لكن النظام الجاري نظام واحد متلائم الأجزاء في غاياتها فليس للعالم

آلهة فوق الواحد وهو المطلوب) [٢٧].

وهذا من اهم الأدلة الواردة في القرآن الكريم التي تنفي تعدد الآلهة و وجودها فلا يمكن ان يكون اكثر من إله في هذا الوجود، و القرآن الكريم لم يذكر هذا الامر في آية واحدة بل آيات متعددة منها :

قال تعالى : ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون : ٩١)، وفي آية أخرى، ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (الإسراء : ٤٢)، وقال تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(التوبة : ٣١).

و الواضح ان الله سبحانه وتعالى وضع في طي كتابه تأسيساً قرآنياً لموضوع وحدته، و تعدد الآلهة فلا يمكن ان يكون هناك سوى واجب الوجود وهو الله جل وعلا، وهذا ما أُستفيد من الآيات التقدمة، ويستفاد منها ايضاً :

اولاً : ان الدور و التسلسل باطل ؛ لانه يؤدي الى القول بتعدد الآلهة، وهذا محال ؛ لانه يؤدي الى تصارع الآلهة و افساد الكون، وهذا لم يُرى من قبل ولم و لن نراه مستقبلاً، اذاً لم يبقى سوى القول بالإله الواحد.

ثانياً : يجب ان يكون الإله واجب الوجود حتى يكون إله، فالممكن لا يكون لانه محتاج الى غيره والإله غني بنفسه عن غيره .

ثالثاً : ان العقل جاء الى جانب القرآن الكريم في اثبات ربوبية و وحدانية الله سبحانه وتعالى، فهو الإله الذي تتوفر فيه شروط الالوهية، فلا إله و لا معبود سواه، وغير محتاج الى غيره، وهو علة نفسه، و واجب الوجود بذاته .

الخاتمة

و يستنتج الباحث من هذه الدراسة:

اولاً : وجود الله سبحانه و تعالى امر لا يمكن لأحد انكاره، فما في الوجود يتظافر لإثبات ذلك الوجود و كأن الله سبحانه وتعالى جعل هذا الوجود آية فيها دلالة على اثبات و جوده.

ثانياً : وجود خالق لهذا الكون بشهادة العقل و النقل، فالآيات القرآنية الى جانبها الأدلة العقلية اثبتت ان لهذا الكون خالق واجب الوجود لذاته، غير محتاجاً في وجوده لغيره، فعّال لما يريد، ذو علم ازلي ذاتي في كل شيء، و ليس كمثله شيء، لا يتصف بما تتصف به الممكنات، فما يتصف به الله سبحانه و تعالى هو غير ما يتصف به الممكن المحتاج و ان كانت تلك الصفة تشترك في اللفظ إلا انها تختلف في المعنى، و لا يمكن ان يحده مكان او زمان معين.

ثالثاً : ان الذات الإلهية لا يمكن ان يكون لها مثيل، و لا تلتقي او تشترك مع أي شيء في هذا الوجود فهي ذات فريده لا يمكن ادراكها و معرفتها، إلا ان ما يمكن معرفته عنها، بانها متفوقة على غيرها في كل شيء و ليس لها مثيل و لا شبيه.

رابعاً : الله سبحانه وتعالى لا يمكن ان يكون ممكناً؛ لأن هذه الصفة تنافي الذات الإلهية و يكون معها الإله محتاجاً لغيره و الإله غير محتاج.

خامساً : الدور و التسلسل كلاهما باطلان ؛ لأن القول بهما ينسب صفة الإمكان للاله و يكون محتاجاً بهما .

* هوامش البحث *

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٧٢.

٢) الصدوق، التوحيد، ص ٣٥.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٦، ص ١٨٧ .

(٤) ينظر، الطبطبائي، أصول الفلسفة، ج٢، ص ٥٩٢ ـ ٥٩٣.

((٥)الكليني، ، الكافي، الفروع، ج ٦ ص ١٣ .

(٦) ينظر، الطباطبائي، الميزان، ج ٩، ص ٤١ .

((٧) الطباطبائي، أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، ج٢، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٨) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٦٢٣.

(٩) محمد رضا المظفر، الفلسفة الإسلامية، ص ٤٧ .

(١٠) الطباطبائي، أصول الفلسفة، ج٢، ص ٢٣١ .

(١١) الطباطبائي، الميزان، ج١، ص٤٠٦ .

(١٢) ينظر ، الطباطبائي، نهاية الحكمة ، ج ١، ص ٧١ ـ ٧٣ .

(١٣) ينظر، جيراد جهامي، موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب، ص ٨٨٢.

(١٤)مهند محمد صالح، الآراء الفلسفية و الكلامية عند العلامة محمد حسين الطباطبائي، ص ٩٢.

(١٥)الجرجاني، التعريفات، ص ٥١ .

(١٦) مهند محمد صالح، الآراء الفلسفية و الكلامية عند محمد حسين الطباطبائي، ص ٩٢.

(١٧) السيوري، الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد ، ص ٥٢ .

(١٨) مهدي الناراقي، جامع الأفكار وناقد الأنظار، ج ١، ص ٤٣ .

(١٩) السيوري، الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد، ص ٥٢ ـ ٥٣.

(٢٠) الطباطبائي، نهاية الحكمة، ج٢، ص ٣١.

(٢١)الطباطبائي، الرسائل التوحيدية، ص ٨.

(*) الماهية : أي ما به الشيء هو هو، إنيته : وجوده الخاص الذي به موجوديته ،ينظر، نهاية الحكمة، ج١، ص ٨٦.

(٢٢) الطباطبائي، نهاية الحكمة، ج١، ص ٨٦.

(٢٣) الطباطبائي، نهاية الحكمة، ج١، ص ٩٣ ـ ٩٤.

(٢٤) ينظر، م، ن، ج١، ص ١٠٤ ـ ١١٠.

(٢٥) الميزان، ج١، ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠.

(٢٦) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٧، ص ٧٠.

(٢٧) الميزان، ج١٤، ص ٢٩١.

* المصادر و المراجع *

١ـ الجرجاني، علي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ)، التعريفات، تحقيق، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة ـ القاهرة، ٢٠٠٤م

٢ـ جيراد جهامي، موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

٣ـ السيوري، المقداد بن عبد الله (ت٨٢٦هـ)، الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد ، تحقيق، صفاء الدين البصري، مؤسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضوية المقدسة ، مجمع البحوث الإسلامية، ايران ـ مشهد، ط١، ١٤١٢ه.

٤ـ الصدوق، أبي جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١، صححه وعلق عليه السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، لا ط، لا ت.

٥ـ الطباطبائي، محمد حسين، الرسائل التوحيدية، تحقيق وطبع، مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ط٤، ١٤٢٧هـ.

٦ ـ الطباطبائي، محمد حسين (ت١٤٠٢هـ)، أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، تقديم وتعليق مرتضى مطهري، ترجمة عماد أبو رغيف، لا، ط، ١٤١٨ هـ.

٧ـ الطباطبائي، محمد حسين، نهاية الحكمة، تصحيح وتعليق، عباس علي الزارعي السبزواري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط٤، ١٤٢٨هـ.

٨ـ الطباطبائي، محمد حسين (ت١٤٠٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتب الإسلامية، مطبعة الحيدري ـ طهران، ط٣، لا، ت
٩ـ الطبرسي، ابي منصور أحمد بن علي، الاحتجاج تعليق، محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة، لا، ط، ١٩٦٦م.
١٠ـ الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح هشام الرسولي و فضل الله اليزدي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان ،ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م
١١ ـ الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني المتوفى في سنة ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ، الكافي، الفروع، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، ناشر دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٧ هـ لاط، لا ت.
١٢ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق ـ مصر، ط ٤، ٢٠٠٤.
١٣ـ محمد رضا المظفر(ت ١٣٨٣هـ)، الفلسفة الإسلامية، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، لا، ط .
١٤ـ مهدي الناراقي (ت ١٢٤٥هـ)، جامع الأفكار وناقد الأنظار، تصحيح وتقديم، مجيد هادي زاده، مؤسسة انتشارات حكمت، ايران، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٥ـ مهند محمد صالح، الآراء الفلسفية و الكلامية عند محمد حسين الطباطبائي، رسالة ما جستير في جامعة الكوفة، كلية الآداب، قسم الفلسفة، ٢٠٠٦م.

❊ ❊ ❊